Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 3, Supplement 1, 2024

Deanship of Scientific Research

Death and Salvation in "The Heights of Fear" by the Novelist Hazzaa Al-Barari

Linda Abdel-Rahman Obaid *

The Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan

Received: 19/2/2023
Revised: 9/6/2023
Accepted: 26/7/2023
Published: 30/6/2024

* *Corresponding author:*
linda@yu.edu.jo

Citation: Abdel-Rahman Obaid, L. . . (2024). Death and Salvation in "The Heights of Fear" by the Novelist Hazzaa Al-Barari. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(3), 474–483. https://doi.org/10.35516/hum.v51i3.4238

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study aims to examine the novel "Heights of Fear" with a focus on the manifestations of death within it, as well as the diverse attempts at salvation and liberation, varying according to the perspectives and struggles of the characters.

Methods: The study adopts a textual analytical approach, drawing insights from psychological and social studies to explore the theme of death in the novel "Heights of Fear." It views the narrative structure as an integrated entity, combining form and content.

Results: The novel, preoccupied with questions of existence and human destiny, expresses its vision through a coherent narrative structure and literary techniques. Death looms over the fates of the characters, the features of the universe, and the details of nature, keeping questions unanswered and responses varied, reflecting the alienation of the contemporary intellectual and the triumph of consciousness and life despite the tragic nature of destiny. The novel presents three approaches in attempting to escape and find salvation from death: the violation of the body, the psychological withdrawal and self-enclosure, and the employment of prophecy and myth. However, these attempts remain futile and unattainable, failing to achieve true salvation.

Conclusion: The pursuit of salvation in the novel "Heights of Fear" takes various paths, but ultimately proves to be a closed and futile endeavor. Anxiety prevails, and suffering intensifies, leading the characters to endure their tragic destinies in a reality riddled with defeats, setbacks, and fractures. Death remains a concealed mystery and an existential question disturbing human serenity, within the eternal struggle between life and mortality.

Keywords: Death, Salvation, Heights of Fear, Wilderness, Jordanian Novel.

الموت والخلاص في رواية "أعالي الخوف" للروائي هزاع البراري

ليندا عبدالرحمن عبيد*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ملخّص

الأهداف: تهدف هذه الدّراسة إلى تناول رواية "أعالي الخوف" محاولة للوقوف على تجليات الموت فيها، ومحاولات الخلاص والانعتاق التي تتنوع وفقا لوجهات نظر الشخوص واختلاف معاناتهم.

المنهجية: اعتمدت الدراسة منهجا تحليليا نصيا مع الإفادة من بعض الدراسات النفسية والاجتماعية لتناول ثيمة الموت في "رواية أعالي الخوف" ضمن رؤية ترى في البناء الروائي كلا متكاملا يتعاضد في تخليقه الشكل والمضمون.

النتائج: عبّرت الرواية المشغولة بأسئلة الوجود والمصير الإنساني عن رؤيتها ضمن بناء سردي متماسك في بنائه وتقنياته، إذ يهيمن الموت على مصائر الشخوص، وملامح الكون وتفاصيل الطبيعة لتظل الأسئلة قائمة، وتتعدّد الأجوبة دون يقين تأريخا لاغتراب المثقف المعاصر، وانتصارا للوعي والحياة رغم فجائعية المصير. وقد اتخذت الرواية ثلاثة طرق لمحاولة الانعتاق والخلاص من الموت: استباحة الجسد، والنكوص النفسي والتقوقع على الذات، إضافة إلى النبوءة والخرافة إلا أنها ظلت محاولات عاجزة ومتعذّرة لم تستطع تحقيق الخلاص.

الخلاصة: إنّ البحث عن الخلاص في رواية "أعالي الخوف" على اختلاف طريقته يظل دربا مغلقا، وفعلا عاجزا عن التحقق، فهيمن القلق، وتتصاعد المعاناة، لتحترق الشخوص في مصائرها المأساوية، في واقع مأزوم بالهزائم والانكسارات الكثيرة والتشظيات، وموت يتربص بالوجود الإنساني على اختلاف أسبابه ونوعه فيظل الموت سرّا مستغلقا، وسؤالا وجوديا يقلق سكون الإنسان، ضمن صراع أزلي بينه وبين الحياة.

الكلمات الدالة: الموت، الخلاص، أعالي الخوف، البراري، رواية أردنية.

مقدمة

الموت:المصطلح والإشكالية

لقد شغلت فكرة الموت الإنسان منذ زمن بعيد، بوصفه مصيرا مأساويا يترصد به، ويقلق سلامه النفسي والاجتماعي؛ فصار هاجسا مفتوحا على الأسئلة التي هوّم الفنانون والمبدعون والفلاسفة في كل صوب يحاولون فهمها، وتصوير تفاصيلها، وتداعياتها النفسية والاجتماعية، وإن ظلت في دائرة الإجابات المتعذرة.

ورد تعريف الموت في معجم لسان العرب، بقوله: "الموت من خلق الله، الموت و الموتان ضد الحياة، والمؤات بالضم،الموت، مات، يموت، و يماتت، والاسم من كل ذلك الميتة، ورجل ميّت وميت، وقيل الميت الذي مات، والميّت والمائت الذي لم يمت بعد، وسمي النوم موتا؛ لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلا لاتحقيقا: وقيل الموت في كلام العرب يطلق على السكون: يقال ماتت الريح أو سكنت."(ابن منظور،2010،ص147)

وفي الاصطلاح هو آخر أيام الدنيا وأول منازل الآخرة، وهو بمثابة القنطرة التي يعبر منها الإنسان من مكان لآخر إلى عالم اللازيف، فتبدو كل الخلائق ماثلة أمام العين.(كحوال،2017،ص22)

"لقد كانت إشكالية الموت من أعقد القضايا الفكرية والفلسفية التي واجهت البشرية في تاريخها الطويل، وقد قدّمت نظريات وفلسفات لا حصر لها في محاولة الفهم لهذا اللغز، وإدراك معانيه وأبعاده وغاياته، ولكنها لم تصل إلى رأي واحد قاطع مقنع، يبدد قلق الإنسان وأرقه وعجزه أمام هذه المسألة، وظل هذا اللغز أعمق من أي حل، وظل الغموض يلف هذه المسألة."(الزعبي،2000،ص152)

عرف الإنسان القديم الموت، فراح يتصور النهاية المأساوية التي سيؤول إليها، باعتبار الموت ذلك الشيء الرهيب المخيف الذي يعد ذروة الحياة وقمة اكتمالها، بوصفه آخر المحن التي يتعرض إليها الإنسان، والاختبار الحقيقي لقيمته.(شورن،1987،ص34)

وقد رأى سقراط أن الموت قد يكون خيرا من الحياة، وأن الصعوبة الحقيقية تكمن في تجنب الوقوع في الخطأ وليس بالهروب من الموت. أما أفلاطون فقد رأى أن الموت هو انعتاق النفس من الجسد، فيصورها وكأنها كانت سجينة وبوسعها الهرب عند الموت، واستعادة ألوهيتها أي الخلود. (شورن،1987،ص63) وقد تراجعت هذه الفكرة حين جاء أرسطو وجعل من النفس مبدأ الحياة، وهي للجسم الحي بمنزلة الصورة والطبيعة لغير الحي،أي أنها مبدأ الأفعال الحيوية على اختلافها، وهي ثلاثة مستويات:النفس النامية، النفس الحاسة، والنفس الناطقة، وبهذه المستويات ينقل أرسطو خلود النفس إلى خلود العقل،لأن العقل لا يفنى بل يطلق سراحه، ولأن الجزء الإلهي من الإنسان يعاد امتصاصه عند الموت، فيرتد إلى مصدره الأصلي" (مشوح،1999،ص60) وأما في العصر الحديث فقد رأى هيجل "أن الموت تصالح الروح مع ذاتها، وقد مجّد الرومنتيكيون الموت، إذ يرون أن أفضل شيء هو الهروب من هذا الوجود البائس ما أمكن."(جهامي،1998،ص603)

وقد نظر الفلاسفة المسلمون إلى الموت بوصفه حكمة؛ إذ البقاء الأبدي لا يحدث إلا بعد حصول الموت، فالموت سبب للحياة الأبدية"(جهامي،1998،ص603)

وقد حاول سارتر وغيره من الوجوديين البحث عن معنى مقبول أو معقول للحياة البشرية، مقابل الموت، على الرغم من إيمانهم بأن الحياة لا معنى لها، وأنها لامعقولة، وذلك لأنه لا خيار آخر لديهم. (الزعبي،1998،ص154)

ووفق هذا التصور يرى الزعبي أن" فلسفة سارتر أصبحت مصدرا لليأس والتحدي ليتفادى عبثية الحياة والموت. وهذا يعتمد رغبتنا في استخدام حريتنا للبحث بقوة عن معنى الحياة"(الزعبي1998،ص155)

أضف إلى ما سبق أنّ المحللين النفسيين قد درسوا معضلة الموت، وآثارها على الإنسان من الناحية النفسية، بوصفها عاملا سالبا محبطا في حياة الإنسان، وقد رأى فرويد في كتابه" ما فوق مبدأ اللذة" أن لدى الإنسان غريزتين،هما غريزة الحياة وغريزة الموت، وأن الإنسان يبقى في صراع دائم بينهما." (فرويد2017،ص73) ويرى فرويد أن سعي الإنسان إلى البقاء هو الأساس، ولذلك ينظر إلى الانتحار على أنه عمل شاذ؛ فالإنسان يجب أن يرغب بالبقاء، وأن يدافع عن ذلك، ولو كان في أسفل المنازل الإنسانية، وأننا كي نتجنب تدمير أنفسنا إذعانا لغريزة الموت، نوظف غريزة الحياة لمواجهتها بنفس القوة، فتدفعها خارج أنفسنا مولدة الغرائز العنيفة والعدوانية فينا، وحين نفشل في ذلك تدفعنا غريزة الموت نحو الانتحار."(فرويد،2017، ص75)

يرى كثير منهم أنّ الموت ليس دائما ظاهرة تدميرية في حياة الإنسان، ولكنه قد يكون مصدرا للحياة ذاتها، فإذا كان الموت يحطم الإنسان فإن فكرة الموت تنقذه، فنحن بحاجة إلى الموت لإعادة تنظيم حياتنا.(انظر:الزعبي1998،ص153)

وخلاصة القول إن الموت شرط الحياة، وهو في المقابل نفي لها، وبمعنى من المعاني نفي إيجابي لها،لأنه يقوم بوظيفة وضع الحد، والحي لا يكون حيا إلا بشرط أن يكون منذورا للموت، وفي الواقع الذي لا يحيا لا يمكن أن يموت، فبلا موت لا تستحق الحياة أن تعاش.(انظر:المساوي،2013،ص11)

وهو بذلك المدخل إلى الأبدية، وهو العامل الذي يعزّز استمرار الحياة في حركة دائرية لانهاية لها.(الدسوقي،1993،ص42)

في الحديث عن الرواية العربية تعدّ الرواية تعبيرا عن تفاعل الكاتب مع ظروفه وواقعه،أو رصدا لمواقفه ورؤيته لواقعه المعيش،إذ لا يمكن أن يقف موقف الحياد من الواقع، فهو ابن المجتمع الذي يعيش فيه، يؤثر فيه ويتأثر بقضاياه.(الشوابكة،2019،ص83) ولعل التنوع في النظر إلى مفهوم الموت على المستويين: العام والخاص هو الذي حدا بالروائيين أن يبتدعوا مفهوما خاصا له و به، انطلاقا من القناعات الفكرية والمعطيات الشعورية والنفسية، فغدا فنا وإبداعا، له مفارقاته الجمة التي استطاع الإبداع أن يعيد تشكيلها وصياغتها، وإنتاجها في صور وأشكال ورموز ودلالات لغوية منزاحة التحمت بالكل، وتضافرت مع الزمان والمكان والأشياء، وتقاطعت معها، لنقف على أعمال تعنى بالموت الفيزيقي، وأخرى تقف على أنواع أخرى للموت، كالموت النفسي، وطغيان مظاهر الموت القسري مثل الحرب والاحتلالات،والقمع، والإرهاب.(الشوابكة،2019،ص86)

طرح الروائيون العرب قضية الموت من وجهات نظر متعدّدة ومتباينة، ورصدوا الآثار التدميرية أو السلبية التي تنتج عن وقوع هذه المأساة على الأحياء، وعلى الأمن الاجتماعي والنفسي لأفراد المجتمع. وقد ركّز كثير من الروائيين العرب في عصرنا الحاضر على حدث الموت بشتى أنواعه لسببين رئيسيين:الأول أن حدوث الموت-موت البطل في الرواية، أو أية شخصية- لأسباب اجتماعية أو عاطفية أو سياسية أو فلسفية أصبح أمرا ملحوظا ومتزايدا ومرعبا في واقع العالم العربي. والثاني أن المفاهيم المتناقضة والمتعارضة لإشكالية الموت أوجدت جدلا فلسفيا ونقاشا فكريا حادا لدى بعض الكتاب الجدد المتمردين والغاضبين الذين ما عادوا يقتنعون بالتفسير التقليدي أو الهروبي أو الاستسلامي للغز الموت ".(الزعبي،1998،ص10)

ولعل كثرة هذه الدّراسات حول هذه الثيمة تثبت لنا القلق الكبير من هذه القوة القاهرة، والأسئلة الوجودية التي شغلت الفلاسفة والمبدعين والمفكرين، وظلت عصية على الإجابة. وربما استحوذت ثيمة الموت على واقع الرواية العربية المعاصرة نتيجة لسببين: الأول ناتج من هيمنة الموت على واقعهم المثقل بالهزائم والحروب والقتل، والثاني ناتج من تغيرات مضطردة فكرية وثقافية واجتماعية أثرت في تبني المثقف المعاصر للأفكار التقليدية المفسرة للموت ولغيره من القضايا، فصار ثائرا متمردا منقلبا على كل شيء، يفتش عن إجابات تهدئ من روع قلقه وخوفه من واقعه ومستقبله، فلم يجد الفنانون والأدباء ملاذا يفرغون به مخاوفهم، ويبثون به أوجاعهم سوى الإبداع بوصفه وسيلة من سبل الخلاص.

يعدّ هزاع البراري واحدا من الروائيين الذين هيمنت فكرة الموت على أعمالهم، وقد قال في إحدى المقابلات مع:"إن الموت يعدّ ثيمة أساسية في أعماله الروائية والمسرحية، لأنه يرى أن الموت جزء من الحياة، ولا ينفصل عنها، وبالتالي يتعامل _جماليا _مع فكرة الموت رغم قسوتها، وما بها من خوف ومساحة كبيرة من المجهول.

وأشار إلى أنّ رواياته لا تعالج الموت كحالة فسيولوجية قدر ما تبحث في آثاره النفسية على الأحياء والأموات، فرواياته تتضمن شخصيات ميتة، لكنها حاضرة، وتتنفس في الرواية، وتتأثر وتؤثر في الأحداث.فالحضارة الإنسانية، من وجهة نظره، ناتجة عن الخوف من الموت، ومحاولة رفضه، ومن هنا تسعى الكتابة الروائية إلى مقاومة فكرة الفناء، والبحث عن الخلود على نحو أو بآخر. (المعيلي،2018،ص12)

في ضوء ما سبق، ستعالج الدّراسة ثيمة الموت والخلاص المتعذر في رواية هزاع البراري " أعالي الخوف" التي وصفت مرارا بأنها " رواية الأسئلة التي لاتفضي إلا إلى المزيد من الأسئلة الجارحة. وأن القلق هو العمود الفقري لهذه الرواية، وما الحرية والموت والكلمة سوى عوامل منتجة للقلق، فالقلق ينبت الخوف، والخوف يفجّر القلق، وجهان لعملة واحدة ونحن تلك العملة"(عابد، 2014)

-2-

أسئلة الوجود والقلق

تعبر رواية "أعالي الموت " لتعبرعن فكرة الخلاص من الموت ومحاولة الانتصار إلى الحياة والانعتاق من عذاباتها، إذ يقدّم الروائي مواقفه الفكرية، وتمازجاته الشعورية والنفسية في بناء روائي متماسك ليعبر عن إحساس الإنسان بالاغتراب والهزيمة والخيبة في فضائه المكاني على اختلاف انتمائه الديني أو السياسي أو توجهه الإنساني ضمن رؤية إنسانية عميقة تنتصر إلى الحياة كما ينبغي أن تكون عبر إيقاعية سردية تمسك بزمامها تقنية تعدد الأصوات التي تنقل لنا وجهات نظر الشخوص من زواياهم المتعددة، فنطل على جوانب مختلفة للأحداث إضاءة للمناطق المعتمة، وتصعيدًا لاحداث جديدة ضمن مشاهد يهيمن عليها الاحساس بالقلق والخوف.

إن "أعالي الخوف" رواية تطل من مرجعيات ثقافية وفكرية متعددة بمحاذاة غنى لغوي، ومستويات تعبيرية متنوعة؛،فمن المباشر التقريري إلى التعبيري المحمّل بشعرية عالية. وهي رواية التيه والبحث عن الذات، والوقوف أمام أسئلة وجودية واجتماعية صعبة، فالخوف والقلق يهيمنان على الشخوص ويوصلانهم إلى مصائر مأساوية، فكل لحظة إشراق متوهمة تقابلها العتمة، وكلما تشبث أحد بمظهر من مظاهر الحياة يتربص به الموت أكثر.

تتكون الرواية من ثلاثة وعشرين جزءا، يتعنون كلّ واحد منها باسم واحد من الشخوص، ويشي بجزء من الأحداث المتعلقة بهم، وتتحرك الأحداث ضمن مسارين زمانيين: الماضي والحاضر، وتأتي الاسترجاعات لنقف على ماضي الشخصية، والظروف التي شكلتها نفسيًا وفكريًا، فيتداخل الماضي والحاضر، ويصير الحاضر إفرازا للماضي بانكساراته وخيباته وتفاصيله، مما يسوّغ النكوص المستمر إليه.

تتحرّك الشخوص في "أعالي الخوف" في فضاء العاصمة عمان؛ فارس أستاذ الجامعة في تخصص الإعلام، وبطرس طبيب الأسنان المسيحي، وإبراهيم غيث إبراهيم إمام المسجد. يحمل كل واحد منهم أزماته و أسئلتة الوجودية والثقافية، وقد واجه كل منهم محنته مع الموت؛ فالدكتور طارق حظي بزوجة جميلة أحبته "ايناس" ثم اتخذت قرارها بالطلاق والإنفصال عنه إثر إصابتها بسرطان في الرحم، مما يعني أنها لن تنجب بعد الآن، والموت يتربص بها، فتهدّده بالانتحار لتنهي العلاقة، ثم ليدخل طارق رحلة التيه والأسئلة، والمكابدة والمعاناة ليتخذ من العلاقات الجسدية النسائية المتعددة محاولته للتصدي والخلاص|.

وأما بطرس فطبيب أسنان مسيحي من مدينة مادبا يقع في حب فتاة مسلمة، ويطرح السرد حكاية أزمة إنسانية في مجتمع يحيا به المسلمون والمسيحيون في تواؤم، لكن حين يتعلق الأمر بالحب والزواج تصحو العصبيات والتشددّ ويتصدى المجتمع الخارقي التابو، ورغم أن الأمر لم يصل إلى أكثر من الإمساك بيدها، إلا أن الفتاة تقع ضحية الموت والقتل تحت ما يسمى جريمة الشرف، ويقف هو ليدفع موته الطويل الممتد المتمثل بقتلهم لرجولته ليبدو مثل مسخ خاو لا جنس له، فيختار الفرار من المكان الذي صار يشكل بالنسبة إليه مقبرة بعد أن مات والداه، وشهد مأساة رحيلهما،ثم مقتل حبيبته، فيتقاعد ويختار الشرب والوحدة، إلى أن ينتهي به الأمر إلى الموت.

تشتبك الشخصية الثالثة الشيخ إبراهيم غيث مع الموت بطرق غرائبية تتعلّق بأنه ينحدر من سلالة الشيخ إبراهيم الذي يسافر إلى ليبيا، ويتعلم طرائق الصوفية، ثم يحتفظ بأسرار تعبده، وانكشاف الحجب عنه في مغارة في قرية بشرى ليصير رجلًا مبروكًا يتقرب إليه سكان المكان، ثم لينجب في أواخر العمر ولدًا يسميه غيثا، ويعيد غيث سيرة والده بعد أن يموت، ثم ينجب ولدًا واحدًا هو إبراهيم، ويرقد الأب والابن متجاورين في قبرهما داخل الكهف، ليجد إبراهيم نفسه أمام مجتمع وأم ينتظران منه أن يكون امتدادًا لسلفيه ومعتقداتهما الدينية، ولكن الأب قبل أن يموت يتنبأ بأن إبراهيم سيكون مختلفا ليشقى بعقله وروحه. فيختار الانعتاق من ذلك، والهرب من هذا المصير، فيغادر المكان، ويترك أمه ويصبح إمام مسجد حداثي، وصديقا لليساريين والشيوعين، ثم يلتقي بفارس وبطرس ليشكل ثلاثتهم أسئلتهم الوجودية، ويوقفنا السرد عند انئزاماتهم وانكساراتهم، وانتهاء بنهايتهم المأساوية.

-3-

الخلاص محاولات

تشتبك الشخوص مع الأحداث ضمن تقنيات سردية متنوعة، تشغلها أسئلة وجودية حول الموت والمصير،إذ يشكل الموت أزمة في حياة كلّ منها، فيصير هاجسا تتحرّك الأحداث الروائية حوله، تحاول الشخوص أن تجد لها ملاذا أو طريقا للخلاص منه، أو الوقوف على إجابات أسئلة خلّقتها المعاناة،فتظل الإجابات مجهولة، والخلاص متعذرا.

تتحرك محاولات الخلاص من الموت في رواية "أعالي الخوف"ضمن ثلاثة سبل:

أولًا:استباحة الجسد

في الحديث عن شخصية د.فارس يأتي التشبث بالمرأة المتأني من تعّدد علاقاته الجسدية محاولةً منه للخلاص من أزمة الموت ومن أسئلته الوجودية حول الحياة وعبثيتها، ومصير الإنسان. ويبدأ السرد بفصل يحمل عنوان هديل: هديل المرأة الأرملة التي تمثل الجسد المحموم برغبات مجنونة، فتأتي مفارقة السرد إذ يضع الحياة إزاء مشهد الموت، فالمرأة حزينة.لموت شاعر، فيصطحبها فارس إلى المقبرة، وحين يغادران تلفهما رهبة الموت فتباغتهما الرغبة والإحساس بالحياة، فتبدأ المرأة بتخليق مشهد الغواية نقيض الموت، وينفتح السرد على مشهد جسدي كامل في الغابة جوار المقبرة. فالذات تفرّ من تيهها وألمها، وتتخذ الجسد ملاذا، ثم تنتقل منه لآخر. و يطل فارس بملامح جعلها السارد الخارجي تجمع بين روح أخيل، ووسامة يوسف؛ فالجسد إلى جانب الشجاعة والروح، ومجون الحرب أمام براءة الجمال والنبوءة. وتتداعى أسئلة الذات المنهكة عبر هذا الفصل:"ما زال موته طازجًا والكل يتذكره،عندما يبرد الموتى في قبورهم، يصبحون كحجارة هشة، ينساهم الناس، وينشغلون عنهم، موت الجسد لا معنى له،

نسيان الأحياء للموتى عذاب يصفع اشتياق الموتى للحياة، فلا يفكرون بالعودة إليها مرة أخرى.

يأتي وصف القبر ومكانه في هذا المشهد بطريقة تشي بالوحشة والخوف من فجائعية هذا المصير، " كان القبر تحت السنديانة الكبيرة، كومة طويلة من تراب بلا قيمة،محاطة بطوب إسمنتي صف على استعجال وقريبا من الشاهد الذي لم يزد على قطعة طوب ثبتت بالطول...وقفنا بذهول أمام القبر القابع تحت الشجرة، الحزن خيّم علينا كغيمة ثقيلة الظل"(البراري،2014،ص39(

وتزداد الحياة صخبا إذ يقول: "في مقعد السيارة الخلفي تفجرنا معا، فشعرت بالأفكار المجنونة تخرج من نوافذ السيارة، ونحن نلتقط الشهقات في الحيز الضيق، نصف عراة ومكتملي الحزن"(البراري،2014،ص39)

واللافت للانتباه في أعالي الخوف أن الفضاء المكاني كلما كان ضيقا ومغلقًا بدت الذوات أكثر احتقانا ومواجهه واشتباكًا مع الحزن، وأكثر قربا من

بعضها بعضا في محاولة معاضدة إنسانية للتصدي للألم، لكنها تظل متعذرة كما يحدث في انزوائهم في البار أو في المغارة؛ إذ تقف الذوات في مواجهة نفسها،"ويسود الفضاء المغلق في الروايات التي تركز موضوعها داخل الحياة الباطنية للشخوص، فيميل بعض الروائيين إلى الفضاءات المغلقة التي يحبسون فيها شخصياتهم، بحيث لا تبرح مكانها، وذلك سعيا وراء تعميق حياتها الداخلية."(بحراوي،1990.،ص27)

يتنقل فارس من امرأة إلى أخرى فمن هديل إلى نور لنقف أمام نموذج آخر للمرأة والاشتباك معها؛ فنور الطالبة الجامعية التي تحبه بصدق فيحجم عنها خوفا على وضعه الاجتماعي:"حين خرجت نور بجسمها الذي يرشح أنوثة وشهوة، بقيت شاحبا محاصرا بالعجز بين ما أشتهي ومايجب... تأملت ردفيها المكتنزين الشهيين، وجديلتها التي تصل إلى أسفل ظهرها."(البراري،2013،ص11)

والذات تعي حقيقة ضعفها رغم غرقها بأجساد النساء:" أنا لا أصلح للحب، أنا رجل لا أصلح لشيء"(البراري،2014،ص10(

يطل التيه عميقا من اللغة الحيادية الباردة الجافة في مراقبته تفاصيل ما حوله،"غبار صيفي يحط على السيارات، الأشجار يرنحها الهواء البارد بقوة، وفي الفضاء تختلط الأصوات، هدير سيارات وصفير ريح

أختبئ في زحام الشوارع المكتظة بالأمزجة العصيبة: إلى أين؟ إلى أين ؟ وأنا ليس معي مني ما يكفي لنصف كلمه حارة."(البراري،2014،ص15)

"وكما كان للبُعد الجسمي والفيزيولوجي لشخصيّة "فارس" الأثر الواضح في ثنايا النص السردي، كان هناك أثرٌ للبُعد النفسيّ، فشخصيّة فارس شخصيّة قلقة يغلِّفها الخوف؛ الخوف من الماضي، والحاضر، والمستقبل، فهي شخصيّة تعيش في صراع مع النَّفس، ويتَّضح ذلك من خلال أشكال المونولوج المختلفة والمتعدِّدة، سواء كان المونولوج الداخلي أو المباشر ضمن حوارات متعدِّدة يرسمها الرّوائي."(الجبور،2021،ص33 (ولعل تشبثه بجسد هديل نابع من احتياجاته للخلاص من بين ما هو شيطاني، وما هو ملائكي، "هديل ليست امرأة عادية،إنها مزيج من ملائكة وجن، جنون ورقة لا يقاومان و ذكاء محبب لا ينبش فيما يزعج رجلا مفجوعا بقلبه، وفيه توق لا يرتوي،كلما أمسك بامرأة وجد السراب "(البراري،2014،ص113) فهو العطش والتوق للارتواء المتنعذر ومحاولة الخلاص المتكرر لتقبض الذات على مزيد من الأسئلة التيه.

ونرى فارسا عاجزًا أمام النموذج النسائي الثالث الممثّل بديمة، بحبها العذري التقليدي الذي ترغب بوضعه في إطار الزواج، بينما يمثل قبوله استرجاع أزمته مع إيناس/الزوجة التي يترصد بها الموت، ويتبنى فكرة جديدة معاصرة من أن الزواج لا يستطيع مواجهة الموت، بينما تحاول الذات الذوبان بأجساد متعددة علها توصله من خلال فسيفسائها وحريقها إلى طريق النجاة، فلا تكون.

ويعلن فارس موقفه صراحة من الموت الذي يشكل هاجسه وأزمته،في فصل "أرواح مشردة" إذ يقول "الموت وحده من يأكل من حياة الأحياء، يبقى الفقد ينهش قلوبهم دون رحمة، فيأتي على شكل صور وذكريات كأسراب حشرات تقتات على أفكارهم، وتحوّل أحلامهم إلى كوابيس....أنا أمضيت عمري أهرب ولكنني أهرب على نحو محزن ولا يجلب غير المواجع والشعور بالندم."(البراري،2014،ص133(

إنّ الذات تعاني إثر محاولاتها المتكررة للخلاص، من أحلام لا يجد لها خلاصا مؤقتا إلا بالجنس. وهذا ما يؤكده فرويد، إذ يرجع الأفعال العصبية إلى العامل الجنسي، بدلًا من العوامل العضوية، فيعدّ الأحلام جزءًا أساسيًّا في اللعبة، والحلم نزوحًا لأفكار خُلقت في المهد، فالأحلام بالنسبة لفرويد كانت بنفس أهمية الواقع، وكلاهما يعبر عن الاحتياج الجنسي للإنسان(انظر: فرويد،1995،ص36(

ثانيا:

الانغلاق على الذات والحنين إلى الماضي

يطل الحديث عن بطرس طبيب الأسنان مرة على لسان الراوي بضمير الغائب، ومرة من خلال تفاعل الشخوص معه، ومرات قليلة بصوته هو.

ويأتي الإبداع الروائي، في هذا الجزء، ليؤشر على التطرف الاجتماعي والديني، فالأديان تفرّق المحبين، وترى بعواطفهم محرضا على الخطيئة، ولو لم تصل لمستوى المسّ الجسدي.

فيحيا بطرس فجيعة موت أمه التي أحبها فكان اختباره الأول مع الموت، وإرهاصا لوقوفه على بوابة رحلة التيه، إذ يقول:

"كنت أنا ثمرة هذا الزواج، ثمرة جوز قاسية، ثمرة لم تصمد طويلا،سرعان ما فسدت وصارت غير صالحة إلا للموت،الثمرة التي لا حياة فيها هي موت مؤجل" (البراري،2014،ص141)

فبطرس يستشعر عجزه عن الحياة والحب والجنس، بعد أن وظف السرد الروائي حكايته للحديث عن فجيعة عقاب من يخترق التابو الاجتماعي، فيتعرض لموت نفسي صعب بسحق رجولته، فيدخل بانتكاسات ومعاناة نفسية، ويطرح الأسئلة حول قيمة الوجود الإنساني وعبثيته، ويتبدى ذلك في ملامحه الشكلية والنفسية، و استرجاعاته المتكرّرة إلى الماضي، واختيار الهرب بالانغلاق على الذات وأسرارها، "بدا كأنه بطيخة خاوية، كانت نظرتة جامدة ..كان يغوص في تفاصيل حكاية بعيدة عنه" فالذات غارقة في وحشتها ووحدتها، تتشبث بصورة لامرأة بدوية على الجدار، وكأنه خوري يتشبث بسرّ من الأسرار.

إنّ الوسائل الدفاعية التي يستخدمها الإنسان المقهور عديدة، في المقدمة منها الانكفاء على الذات "وهي محاولة دفاعية تسير في اتجاه التقوقع

والانسحاب بدل مجابهة التحديات.(حجازي،2005،ص39(

تشكل الصورة محور حكايته، وأيقونته ونافذته للنكوص إلى الماضي الذي تسبب بموته، فصار إحساسه بالحياة عبثيا، وتأتي الصورة لتكون أيقونة لحكاية الموت، وتقنية فنية تساعد على التذكر والاسترجاع " تذوب وتسيح حياتنا في شقوق عمان، ولا تعود تشبهنا." (البراري،2014،ص42(

ويلاحظ بقية الشخوص انكفاء الذات وتقوقعها على نفسها، "نظر باتجاهي فوجدني ساهما منتظرًا أن يبوح هذا العصيّ على البوح المنغلق ككهف مرصود."(البراري،2014،ص14(2

والحاضر لا ينفصل عن الماضي المتسبب به،"كان صوته مجروحًا وفيه بقايا حروق قديمة.ما تزال حية متقيحة."(البراري،2014،ص146) فالحروق القديمة لا تشفى، وتظل الصورة المعلقة على الجدار بوابة العبور إليها إمعانا بالهرب من المصير والانتقام الصامت من الذات والحياة.

ويطرح بطرس الأسئلة دون فعل حقيقي واحد للمواجهة عندما يقص على رفاقه قصة ميشيل المسيحي الذي سافر ليصبح قسيسًا، فيدرس الفلسفة، ويفتش عن إجابات عن الأسئلة حول الحياة والموت وأسرار الوجود، فيعاقبه المجتمع والكنيسة،إذ يتم تكفيره ووصف زواجه بالزنا، فيهاجر، ويختار حريته ولا يعود،

ولكن بطرس عاجز جسديا ونفسيًا، ومصلوب بقوانين المجتمع،لا يستطيع تجاوز عجزه بفعل حقيقي. ولا تشهد ذاته إلا متنفسا واحدًا يوم يصطحبه أصدقاؤه للسهر خارج البيت يوم ميلاده، فتغويه الإنارة،وتتفجر مكبوتاته ويرقص ويشرب، ويمتص ما يستطيعه من حياة لا تطل عبر السرد إلا قبل موته بقليل لينتصر الموت وتتلاشى الحياة.(انظر:البراري،2014،ص91(

وقبل أن تهيمن فجيعة الموت يعود بطرس إلى نكوصه، وفي لحظة إشراق وتجلٍ تشبه الهذيان، فيبوح بأسرار قصته التي تسببت بتحطيمه، والمتمثلة بالقتل النفسي الذي قاده شيئا فشيئا إلى موت بيولوجي محتوم."بكى الطفل على قبر أمه، بدأ صمته بنهار، وكأنه سد مأرب..ها هو الآن ينفجر مثل برميل بارود"(البراري،2014،ص189) وتزداد الصورة حضورًا لحظة التجلي،"قدناه إلى حيث الصورة، تنتصب مثل آلهة مبهمة في زاوية معتمة"(البراري،2014،ص189(

وإذا كانت الصورة بوابة الرجوع إلى الماضي فإنها الآن بوابة الخلاص والعبور إلى الموت، "وقف أمام الصورة ساهما مرتعشًا وكأنه يؤدي صلاته الأخيرة، يتحدث بصوت مريح ومتقطع.. شخصت أعيننا تجاه الصورة التي بدت كعذراء غارقة بالقداسة والسحر وربما _كان يهذي فعلا_ هاهو ينداح مثل كأس تسقط على الأرض وتتحطم مطلقة سيل ما فيها دفعة واحدة"

البراري،2014،ص191))

وحين يسرد عليهم حكاية حبيبته البدوية المقتولة ظلما يعري قبح المجتمع وخشونة قوانينه وفظاظتها،إذ يغطي شحوب الموت وجهه، وتتطهر الذات من وجعها، وتنفلت بالبكاء"غشت وجهه صورة الموت، وتراكمت في عينيه سحب شاحبة بكى لأول مرة أرى بطرس الكبير بجسمه الضخم يبكي كطفل مريض،كان بكاؤه مؤلما لا يحتمل"(البراري،2014،ص192(

وتتبع الذات الموت بدءًا من لحظة وقوعة وصولًا إلى حمل الجثمان، وانتهاء بوصف ملامح القبر وتفاصيله، وانكسار الحياة في حضرته.

يأتي استرجاع الماضي على لسان بطرس مشعرا المتلقي بفجيعة حدوثه، إذ كان الموت بمدلوليه النفسي والجسدي حاضرا ومهيمنا، "أمسك الكبير بخصيتي وثبتهما على بلاط الغرفة، ثم هوى بكعب البندقية عليهما، شعرت بنار مستعرة تنطلق نحو رأسي، غبت عن الحياة، مت تماما."(البراري،2014،ص195(

ويهيمن الموت في أقصى مدى له حين يقول:

|(البراري،2014،ص196)""امتلأ قلبي بالقبور، قبر عليا وقبر أمي وقبر أبي،وأنا مجرد جثة عفنة

يأتي الانعتاق من جوار الموت وإليه، فيأخذه أصدقاؤه لوداع قبر عليا، ومناجاتها، ويوصي وهو المسيحي في الاعتقاد أن يدفن قربها، ويأتي التمرد الكبير من الشيخ إبراهيم منتصرا إلى شريعة الحب السماوية، إذ يصلي عليه، ويدفن جوار حبيبته في مقابر المسلمين،"رفع بصره متأملا سقف الغرفة،بعد لحظات شخر بقوة ثم تدلى رأسه قريبا من كتفه ومات، مات هكذا بكل بساطة تركناه"(البراري،ص201)

وإذ يعبر بطرس إلى موته الأخير تفقد بقية الشخوص فضاء اجتماعها،وتقف جميعها أمام مصائرها الموجعة لتدخل دائرة الأسئلة التيه، فيظل الخلاص متعذرًا كفجيعة مصير الإنسان المتربص به.

ثالثًا :النبوءة والخرافة

إن النبوءة والخرافة مصدران مهمان من مصادر الثقافة الشعبية، ويلوذ الناس إليها فرارا من الخوف والقلق المتأتي من المسائل الوجودية، بفعل ماتدخله على النفوس من اطمئنان وسلام.

وتطل الخرافات والكرامات والنبوءات في أعالي الخوف وسيلة من وسائل الانعتاق من الخوف، والفرار من كارثة الموت، ويقدمها السرد في الجزء

المتعلق بشخصية إبراهيم،فإبراهيم حفيد لجد متصوّف ولديه كرامات وله علاقة بساحر مصري يرفع له الحجب، وذاعت بين الناس بركته، وصاروا يتقربون إليه،ضمن أجواء طقوسية يشهدها بيتهم؛ فالجد يتزوج متأخرا، وينجب ولدًا واحد يسميه غيثًا، مع ملاحظة ما قد يشي به الاسم من دلالات، و يتزوج غيث حسنا وينجب ولدا واحد يسميه إبراهيم، وتفرح العائلة والمجتمع المتشبث ببركة الجد، وضرورة أن يتوارث الأبناء قواه ومعتقداته، لأن التوقف يعني أن تغادر البركة قريتهم.

"عاد بلحيته البيضاء ووجهه الأبيض الوضاء،وكرش صغير مدوّر،صار يبشر بالصوفية، وتحوّلت مغارته إلى حلقة ذكر، كما زادت مقدرته في العلاج بالقرآن، فتحمل العاقر على يده، وتتزوج العانس، ويشفى المريض" (البراري،2014، ص57)

ولعل الخوف هو الدافع وراء التشبث بمثل هذه الطقوس،"تحولت القراءات إلى دروشة موغلة في التسامي الروحي،حتى تساقط الرجال واحدًا تلو الآخر، صرعى الدهشة والتعب و الوله."(البراري،2014،ص59)

وتطل الخرافات التي تشبث الناس بها في سني القحط، من غناء الغياثات، ومن صورة امرأة عمشة تتحوّل لاحقا إلى غولة يختزن إبراهيم صورتها بخوف "جلست العجوز الهشة القرفصاء دخلت بنوبة عويل مؤلم"، أخذت تمزق ملابسها،كاشفة عن رأسها، وقد بدأت تنتف شعرها بقوة."(البراري،2014،ص61)

وبعد هذا المشهد الغرائبي الموغل في الاعتقاد بهذه الطقوس والخرافات تمطر السماء، وينهمر المطر

فكثير من الغرائيبية والخرافات تسيطر على أهل القرية، وقد يفسر ذلك بتحليلات عدة؛ أهمها العجز عن الإجابة عن أسئلة الوجود.

ويطل الموت من قلب المغامرة التي يدفن بها أبوه وجده وتصير ملاذا للناس يستسقون منها البركة، ومحطا للكرامات والغيبيات،بينما تشكّل خوفا لدى الحفيد إبراهيم الذي يحاول الفرار من هذا المصير، يؤمن بالعقل، ويطّلع على الفلسفة والأفكار التنويرية، ويحاول الخروج على الخط الغيبي الذي تتوارثه العائلة، يكره المغارة ويطلب ألا يدفن فيها، وتصبح غولًا يهاجم دواخله أينما ذهب، "قالوا إن في المغارة سرًا، منهم من قال إنّ فيها سرداب يوصل إلى كنز، ومنهم من قال إنّ الشيخ المصري يأتي ليعلم الشيخ علما جيدًا في الطب...لكن سرّ المصري ظل غامضا وعصيا على الكشف."(البراري،2014،ص62(

ويتعاظم الخوف من الموت إذ يقول:

"كنت أرى القبر في جوف المغارة فأصاب بالذعر، تخيلت جدي شيخا بائسا، وأن المغارة لم تنبت تحت الأرض"(البراري،2014،ث63)

وتظهر شخصية خليل الأجدب، الذي رفعت عنه الحجب، ويأتي لينبئ إبراهيم بموت أمه بعد ثلاث ليال من موتها،وحين يذهب لزيارتها تموت بعد أيام.

تضع الرواية المتلقي أمام دهشة غير متوقعة، فالأجدب يتنبأ بموت نفسه بعد ثلاثة أيام، فتحزن القرية، لأن موته يعني اختراق سكونهم المتوهم بالخرافة من القلق من المجهول المتمثّل بالموت.

"هل جاء خليل نداء من كرامة ما؟ هل ثمة قوة ما؟ هل روح ما جاءت على نحو خليل الأحدب.. لا يا أمي لا تموتي طردتني عنك مثل مغارة تلاحقني كسعلوة شبقة، والهرب لم يحل أسئلة أنشبت مخالبها في تجاويف عقلي فبقيت كالميت الذي لا يموت الذي لا يحيا."(البراري،2014،ص121)

ويهيمن الموت على دواخل الذات الواعية في قرية تؤمن بالخرافة وتلوذ إليها فيستشعر المكان كله مقبرة المغارة مقبرة، وهذا السفح كوديان مقبرة تبتلع أهالي القرية، ماذا بقي مني بعد الآن؟ عقلي تائه."(البراري،2014،ص131)

وإذ تتخذ الذات المثقفة الواعية قرارها بالانتصارللتغيير والوعي تحيا ضياعا ومعاناة تؤذن بمصيرها الصادم،"لن أسمح لهذه المغارة أن تلتهمني، إن مت أريد أن يدفن جسدي في العراء، أو تحت شجرة، المهم لن أعود إلى هذه المغارة حيًا أو ميتا."(البراري،2014،ص132)

وقد تنبأ الأب بخروج ابنه على تعاليمه ومعتقداته، إذ قال قبل موته ما يشبه النبوءة من أن روحه لن تشهد السلام أبدا.

اللغة المحتقنة بثنائيتي الموت والحياة رابعا:

جاءت اللغة الروائية في "أعالي الخوف" لتعبر عن وجهة نظر الكاتب وفلسفته إزاء الحياة والموت، ولتشي بالصراع الأزلي بينهما، تتشابك حينا، وتنفصل حينا آخر ضمن حركتي الفعل والتصدي. وقد أطلت محتقنة بالرغبة وتجليات الحياة أحيانا، بينما تهيمن اللغة المحتقنة بصور الموت أحيانا أخرى.

وحده من ينهش قلوبهم"(البراري،2014،ص133) فيقول: "الموت وحده من يأكل حياة الأحياء..

وإذ يختار فارس التصدي لهذا المصير المتمثل بالموت القسري تحضر الجمل المحمّلة بالرغبة والحب، ومحاولة الاحتفاء بالحياة، "وديمة كانت تحبني ذلك الحب الملائكي الذي يسكن الأرض وفيض، كانت تحلم بي حبيبًا أبديا"(البراري،2014،ص136(

تطلّ في هذه الأجزاء السردية _التي تتحدث عن محاولات فارس للخلاص من قلق الموت، وإحساسه بملاحقته له، فيعمد إلى إلى الغرق في اللذة والشهوة الجسدية_ كثير من المحاولات المضمرة للانتصار إلى الحياة حين يهيمن الموت، فنقبض على لغة الجسد، بوصفه تجليا هاما من تجليات الحياة،" تاركة لجزء شهي من صدرها أن يطل، صدرها كان يهتز بدلال أمام شياطيني"(البراري،2014،ص136(

ويتصاعد التوق إلى الحياة كذلك حين يقول:" أشارت بأصبعها إلى شفتها المغمستين بنبيذ أحمر، والمنقوعتين بليل الشهوة،كنت ظمآن والشفاه تغري بالعذوبة"(البراري،2014،ص 137(

تتجلّى اللغة المحمّلة بالحياة حين تحضر صور الموت، داخل مشهد روائي يقيم مواجهة مضمرة بين الحياة والموت؛ فحين يحضر مشهد المقبرة إثر موت شاعر، يحضر مشهد الجسد كاملا محتقنا بلغة محمومة بالشبق والرغبة، "تأملت رغبتها المدلوقة على تفاصيلها، نظرت إلى شفتها الطريتين كشوكولاته ذائبة، وجدت ثديها الرمانيتين بيدي"(البراري،2014،ص39(

وكلما حضر استرجاع الماضي المحتقن بالخيبة وصور الموت المختلفة التي حوّلت دواخل الشخوص إلى مقابر،من مثل استرجاع ماضي بطرس،"نخرته ذكريات موغلة كأن مقبره بعيدة ترسم ظلال موتاها المتحللين إلى الجدار" (البراري،2014،ص79) هيمن اليأس والعجز على دواخل الشخوص، وحضرت كلمات من مثل: موت ومقبرة وأرواح وجثث وحزن ودمع عشرات المرات داخل الرواية.

ويصير الخمر ملاذًا للشخوص، وتهيمن اللغة المحّملة بالحياة ضمن صراع أزلي الغلبة فيه للموت،" رفع كأسه في محاولة لقتل السؤال المسعور"(البراري،2014،ص92)

إنَّ الخاصيّة الوجوديّة التي ميَّزت حيوات شخصيّات رواية "أعالي الخوف"، جعلت بنيتها الزمنيّة، تتميَّز بنوع من التشظّي والخلخلة من خلال مجموعة من الوحدات السرديّة. حيث وظَّف الرّوائي تقنيات عدة: الاسترجاع، الاستباق، الحوار الداخلي.إذ إن الشخصيات الثلاث (فارس، بطرس، إبراهيم) مشدودة إلى ماضيها على نحو كبير. كما شكَّل هذا الماضي شرنقتها التي لا تنفكّ منها.(بوعيطة،2020،ص 25(

تبرز في "أعالي الخوف" لغة الغناء والموسيقى والرقص بوصفها صورة من صور التشبث بالحياة، ليقف المتلقي على الصراع الأزلي بين الحياة والموت، إذ يصير الفن ملاذا ومخلصا، لكن اللغة الروائية تعود لتنتصر إلى البكاء معلنة رؤيتها المأساوية بتعذر كل سبل الخلاص من الموت.

-4-

تعذر الخلاص و انتصار الموت.

تجلّى انتصار الموت في نهاية الرواية؛ إذ يموت بطرس الذي طالما خشي أن تتعفن جثته مخنوقا بفجيعة الموت التي اختطفت حبيبته وأفقدته رجولته، فعاش أسير الوحدة والوحشة، وقد جاء الموت بعد استشعار الذات لفرح قصير، ثم البوح والاعتراف، "مات بطرس كان موته كنفوق حمامة على نافذة بيت في ليلة مثلجة"(البراري،2014،ص199(

(البراري،2014،ص199)"أريد أن أموت هنا حيث حياتي،أموت بينكم، صدقوني الموت ينام أيام"

فيصير الموت صاحبا ونجاة وملاذا تستشعره الذات وترقبه. **ومن موت بطرس تنبثق ميتات الشخوص الآخرين، يقول فارس:**

"بعد ثلاثة أشهر وقفت على قبر بطرس كبناء مصدع وخائر القوى..لم أقل شيئا،لم أشك له، كنت سأقول إن هديل ودعتني وداعها الأخير، كنت سأشكوله من إبراهيم سأقول له:يا بطرس إن الشيخ إبراهيم لم يستكن قلبه،إبراهيم تاه في السؤال..قال لي: أنا اتوه يا دكتور،أتوه ولا خلاص، لذا قررت أن أذهب في رحلة طويلة"(البراري،2014،ص204(

إنّ الشخوص تواجه واقعها، وترتضي مصائرها، وتعي كل ذلك عند موت بطرس،"بطرس راح بعيدا، وما من مكان يجمعنا بعده،لم نعد نحيا كما كنا، إننا نفتقد نكهة الحياة والأشياء حتى الأسئلة صارت جوفاء بلا معنى" (البراري،2014،ص202) ويحيا الدكتور فارس وحدته وتنهشه الأفكار، ولا يعبر الطريق رغم كل المحاولات للتصدي،"تنهشني الأفكار، لا أبصر طريقًا،أسير وتسير معي خسائري وأحلامي الميتة"(البراري،2014،ص205(

إنّ البحث عن الخلاص في رواية "أعالي الخوف" على اختلاف طريقته يظل دربا مغلقا،وفعلا عاجزا عن التحقق، فهيمن القلق، وتتصاعد المعاناة، لتحترق الشخوص في مصائرها المأساوية، في واقع مأزوم بالهزائم والانكسارات الكثيرة والتشظيات، وموت يتربص بالوجود الإنساني على اختلاف أسبابه ونوعه. فيظل الموت سرّا مستغلقا، وسؤالا وجوديا يقلق سكون الإنسان، ضمن صراع أزلي بينه وبين الحياة؛ فهو السؤال الذي حار الفلاسفة والمفكرون والمبدعون بالحصول على إجابة يقينية حوله، فاتخذ الأدباء منه رافدا جماليا ودلاليا يغذي نصوصهم الأدبية، ومحاولة للخلاص، وإن ظلت هذه المحاولات عاجزة عن التحقق، كما أطل من المصائر المأساوية التي تربصت بالشخوص.

الخاتمة

- تعدّ رواية "أعالي الخوف" رواية الأسئلة الوجودية، ورواية المصير الإنساني المأساوي المتمثل بالموت، تفتش الذوات به عن الخلاص بالرجوع إلى الماضي، والمحاولة العاجزة لمواجهته، و التشبث بملامح الحياة، فلا تجد إلا إمعانا بالتيه والموت، فيتعذر الانعتاق والخلاص.
- عبرت الرواية المشغولة بأسئلة الوجود والمصير الإنساني عن رؤيتها ضمن بناء سردي متماسك في بنائه وتقنياته التي تصدرتها تقنية تعدّد الأصوات التي توقفنا على وجهات النظر المتعددة، وتضيء أمام المتلقي المساحات المعتمة، فهيمن الموت على مصائر الشخوص، وملامح الكون وتفاصيل الطبيعة لتظل الأسئلة، وتتعدّد الأجوبة تأريخا لاغتراب المثقف المعاصر، وانتصاراً للوعي والحياة رغم فجائعية المصير.
- إنّ إشكالية الموت من أعقد القضايا الفكرية والفلسفية التي واجهت البشرية في تاريخها الطويل، وقد قدّمت نظريات وفلسفات لا حصر لها في محاولة الفهم لهذا اللغز، وإدراك معانيه وأبعاده وغاياته.
- درس المحللون النفسيون معضلة الموت_ وآثارها على الإنسان من الناحية النفسية_ بوصفها عاملا سالبا محبطا في حياة الإنسان، وتناولوا الصراع القائم بين غريزة الحياة وفكرة الموت بالدراسة والتحليل.
- يشكّل الموت ثيمة أساسية في أعمال هزاع البراري الروائية ضمن تصور يرى في الموت رديف الحياة، ولا ينفصل عنها، وبالتالي يتعامل جماليا مع فكرة الموت معتنيا بتجلياته النفسية والمجتمعية بحثا عن الخلاص.
- وظّف البراري أزمة الموت ليعرّض بالقبح المجتمعي، وقوانينه القاسية في التعامل مع الأفراد، فينتقد التابوهات التي يسعى إلى حمايتها أفراد ومؤسسات، على اختلاف أنواعها التي لاتعنى إلا بسطوتها، ولو ترتب على الأمر حدوث فجائع إنسانية.
- جاءت اللغة الروائية في أعالي الخوف تشي بالصراع الأزلي بين الموت والحياة، تتشابك حينا، وتنفصل حينا آخر ضمن حركتي الفعل والتصدي محمّلة بالرغبة والشبق وتجليات الحياة حينا، وبصور الموت وتجلياته حينا آخر، وإن هيمنت تجليات الموت والخراب والعجز أكثر.
- اتخذت الرواية ثلاثة طرق لمحاولة الانعتاق والخلاص: الغرق في اللذة وارغبات الجسد، والنكوص النفسي والتقوقع على الذات، واستحواذ فكرة النبوءة والخرافة على أفكار الناس إلا أنها ظلت محاولات عاجزة ومتعذّرة.
- تحضر اللغة المحتقنة بصور الحياة وتجلياتها حين يهيمن الموت على دواخل الشخوص، ويستحوذ بتفاصيله المادية والنفسية على المشاهد الروائية، ويحضر الفن كالموسيقى والكتابة والغناء ليصير ملاذا ومخلّصا.

المصادروالمراجع

ابن منظور، ج. (2010). *لسان العرب*، بيروت، دار صادر.

أحمد، ز. (2000). *إشكالية الموت في الرواية العربية والغربية*، عمان: مؤسسة عمون للنشر.

البراري، هـ. (2014). *أعالي الخوف*، عمان، دار الأهلية.

بوعيطه، س. (2020). الفلسفة وهاجس التجريب الروائي في رواية أعالي الخوف لهزاع البراري، *مجلة أفكار الثقافية*، العدد 311، عمان: وزارة الثقافة

جهامي، ج. (1998). *موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب*، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

حجازي، م. (2005). *التخلف الاجتماعي*، ط9، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي

الدسوقي، ن. (1993). *الحياة بعد الموت*، طرابلس: منشورات جرس بروس.

الشوابكة، س. (2019). الموت ثيمة فجائعية في الرواية العراقية الجديدة، *مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، 46(2): 86.

شورن، ج. (1978). *الموت في الفكر الغربي*، ترجمة يوسف حسن، الكويت:عالم المعرفة.

عابد، ت. (2014). صحيفة الجزيرة، https://www.aljazeera.net/culture/2014/5/2

فرويد، س. (2017). *ما فوق مبدأ اللذة*، ترجمة إسحق رمزي، ط5، القاهرة: دار المعارف للنشر.

فرويد، س. (1995). *مدخل إلى التحليل النفسي*، ترجمة جورج طرابيشي، ط3، بيروت: دار الطليعة.

كحوال، م. (2017). *صورة الموت في رواية الأزمة الجزائرية*، الجزائر: رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي.

المساوي، ع. (2013). *الموت المتخيل في شعر أدونيس*، دمشق: دار نايا.

مشوح، و. (1999). *الموت في الشعر العربي السوري المعاصر*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق: مكتبة الأسد.

المعيلي، ف. (2018). صحيفة الجريدة، https://www.aljarida.com/articles/1542812426392957200الكويت 22 نوفمبر 2018

الجبور، م.(2021).بناء الشخصية في أعالي الخوف لهزاع البراري، مجلة أفكار الثقافية، العدد 393، عمان: وزارة الثقافة

References

Ibn Manzoor, C. (2010). *Lisan Al-Arab*, Beirut, Dar Sader.

Ahmed, Z. (2000). *The Problem of Death in the Arab and Western Novel*, Amman: Ammon Foundation for Publishing.

Al-Barari, H. (2014). *Heights of Fear*: Amman, Dar Al-Ahlia

Buaita, S. (2020). Philosophy and Obsession with Narrative Experimentation in Hazaa Al-Barari's "The Heights of Fear," *Afkar Al-Thaqafiyya Journal*, 311, Amman: Ministry of Culture.

Jahami J. (1998). *Encyclopedia of Arab Philosophy Terms*, Lebanon: Library of Lebanon Publishers.

Hijazi, M (2005). Social backwardness, 9th edition, Casablanca: Arab Cultural Center.

Al-Desouki, N. (1993). *Life After Death*: Tripoli: Bell Bruce Publications.

Shawabkeh, S. (20019). Death is a tragic theme in the new Iraqi novel, *Studies Journal for Humanities and Social Sciences*, 46(2): 86.

Shorn, J. (1978). *Death in Western Thought*, translated by Youssef Hassan, Kuwait: The World of Knowledge.

Abed, T. (2014). Al-Jazeera Newspaper, https://www.aljazeera.net/culture/2014/5/2

Freud, S. (2017). *Beyond the Principle of Pleasure*, translated by Isaac Ramzy, 5th edition, Cairo: Dar Al-Maarif for publishing.

Freud, S. (1995). *An Introduction to Psychoanalysis*, translated by George Tarabishi, 3rd edition, Beirut: Dar Al-Talee'ah.

Kahouwal, M. (2017). *The Image of Death in the Novel of the Algerian Crisis*, Algeria: Master Thesis, Algeria: Larbi Ben M'hidi University

Al-Masawi, P. (20013). *Imaginary Death in Adonis Poetry*, Damascus: Dar Naya

Mashouh, W. (1999). *Death in Contemporary Syrian Arab Poetry*, Arab Writers Union, Damascus: Al-Assad Library.

Al-Muaili, F. (2018). Al-Jarida Newspaper, https://www.aljarida.com/articles/1542812426392957200, Kuwait, November 22, 2018

Al-Jabour, M. (2021). Building Character in the Heights of Fear by Hazaa Al-Barari, *Afkar Al-Thaqafiyya Journal*, 393, Amman: Ministry of Culture.